

مجمع الأمثال

3341 - اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ .

أي : افْعَلْ ما تريد ليلا فإنه أَسْتَرُّ لسرك .

وأول من قال ذلك سارية بن عويمر بن عديٍّ العُقَيْلِي وكان سبب ذلك أن تَوَّبَةً بن الحمير شَهْدَ بنِي خَفَاجَةَ وبنِي عَوْفٍ وهم يختصمون عند هَمَّام بن مطرف العُقَيْلِي وكان مروان بن الحكم استعمله على صَدَقَاتِ بنِي عامر فضرب ثور بن أبي سمعان بن كعب العقيلي توبة بن الحمير بِجُرْزٍ .

(الجرز - كفل - عمود من الحديد وجمعه أجزاز وجرزة) .

وعلى توبة درع وبيضَة فجرح أنْفُ البيضة وَجَهَ توبة فأمر همام بن مطرف بثور فأقعد بين يدي توبة فَقَالَ : خُذْ حَقْكَ يَا توبة فَقَالَ توبة : ما كان هذا إلا عن أَمْرِكَ وما كان ثور يجترئ على عند غيرك ولم يقتص منه وَقَالَ : .

إِنْ يُمْكِنِ الدَّهْرُ فَسَوْفَ أَنْتَقِمَ ... أَوْ لَا فَإِنَّ الْعَفْوَ أَوْلَى بِالْكَرَمِ .

ثم إن توبة بلغه أن ثورا قد خَرَجَ في نفر من أصحابه يريد ماء لهم يُقَال له جرین أو جرین بتثنيةٍ فَتَبِعَهُمْ توبة في أناس من أصحابه حتى ذكر لهم أنهم عند رجل من بنى عامر يُقَال له سارية بن عويمر بن عدي وكان صديقا لتوبة فَقَالَ توبة : .

لا أطرقهم وهم عند سارية يخرجوا وَقَالَ سارية للقوم وقد أرادوا أن يخرجوا من [ص 194] عنده مُصْبِحِينَ : ادْرَعُوا اللَّيْلَ فإنه أخفى للويل ولست آمن عليكم توبة فلما أظلموا ركبوا الْفَلَاحَةَ وتبعهم توبة فقتل ثَوْرًا وَجَرَّ هذا قتل توبة بن الحمير